

العنوان:	الجاراة في الشعر العربي القديم
المصدر:	مجلة جامعة الملك سعود - الآداب
الناشر:	جامعة الملك سعود - كلية الآداب
المؤلف الرئيسي:	ابن تنباك، مرزوق بن صنيان
المجلد/العدد:	مج 3, ع 2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1991
الصفحات:	383 - 409
رقم MD:	124651
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	القيم الاجتماعية، الشعر العربي، الأدب العربي، نقد الشعر، الشعراء العرب، حق الجوار، الشواهد الشعرية، العصر الجاهلي، العادات و التقاليد، الوحدة الاجتماعية، الجارة
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/124651">http://search.mandumah.com/Record/124651</a>

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب  
الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

ابن تنباك، مرزوق بن صنيطان. (1991). الجارة في الشعر العربي القديم. مجلة  
جامعة الملك سعود - الآداب، مج 3، ع 2، 383 - 409. مسترجع من  
<http://search.mandumah.com/Record/124651>

إسلوب MLA

ابن تنباك، مرزوق بن صنيطان. "الجارة في الشعر العربي القديم." مجلة جامعة  
الملك سعود - الآداب مج 3، ع 2 (1991): 383 - 409. مسترجع من  
<http://search.mandumah.com/Record/124651>

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك  
www.mtenback.com

## الجارة في الشعر العربي القديم

مرزوق بن صنتيان بن تنباك

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(ورد بتاريخ ١٤٠٩/٧/١٢هـ، وقيل للنشر بتاريخ ١٤١٠/٥/٧هـ)

ملخص البحث. يدرس هذا البحث حق الجارة في الشعر العربي القديم، ويصف فخر الشعراء العرب عندما يقومون بحماية الجارة ورعايتها. وليس هذا فحسب بل إن الشعراء عبروا في قصائدهم عن القيمة الاجتماعية لهذا العرف وعن قوانين الجوار المرعية.

وقد تابعت هذه الدراسة تطور علاقات الجوار وأسبابه وأوردت الشواهد الشعرية التي تناولت ذلك العرف بشيء من التفصيل.

### مقدمة

هدف هذا البحث هو تتبع خطوات أفئدة الشعراء الأقدمين عندما يمرون بذكر عادة اجتماعية أصلها العرف العربي في الجاهلية وحث الإسلام على التمسك بها وزادها تمكيناً في الواقع الاجتماعي وهي حق الجارة والنظرة إليها. وقد رسم الشعراء صورة متميزة هي الحديث عن النفس والفخر بمعاملة الجارة مع أخلاقهم وعاداتهم وتصويرهم لسنين المروءة وهذا البعد الذي رسمه الشعراء أملت طبيعة الإنسان الشاعر ففخر بنفسه أو مدح غيره.

كما يعرض البحث الشعر الذي وصف خلجات فؤاد الشاعر عندما يتحدث عن الجارة ويصف حقها وما يجب لها من الرعاية . وقد كان المتوقع أن يكون لها في الشعر القديم حظ أوفر مما وجد في حقيقة الأمر، حيث ظهر كمٌ قليل من الشعر تناول حق الجارة في فترة طويلة وخصبة، مارس فيها العرب عاداتهم الاجتماعية بعيداً عن المؤثرات الخارجية التي حدثت بعد ذلك والتحويلات الاجتماعية التي حددت علاقة الجوار فاختلّف حالها عما سبقها من أحوال .

وبعد حصر الشعر انتقل النظر من الكمّ إلى المضمون، فظهرت الصورة التي رسمها الشعر أوضح ما تكون عندما يطرق الشاعر باب الثناء على النفس والفخر بالمحافظة على خصال المروءة وما يتطلبه الوفاء بالواجب، فوصف محافظته على الأخلاق الاجتماعية، ومدح من أراد مدحه بهذه المحافظة وهجاء من أراد هجاءه بالتخلي عنها.

وأما كان الشعر الذي تناول حق الجارة فخراً بالنفس أو مدحاً للآخرين أو هجاء لهم . فقد كان تعبيراً لاقتناعات العرب بقيمة علاقة الجار واحترام حقه وهو حق محدود المعنى ينحصر بالحماية التامة للجار والإكرام له وهذا السبب بدأت نصوص الشعر أمام الفحص والنظر أقرب ما تكون إلى تقرير الواقع الاجتماعي المتفق عليه الذي يعدّ العرب احترامه، والإيمان به والمحافظة عليه من مسلمات الأعراف المرّضية والتقاليد المحمودة في مجتمعهم، وأظن أن هذا هو السبب الذي جعل الشاعر لا يحتاج إلى الغوص في الأحاسيس ولا يشرح المشاعر ولا يتخيل صوراً لرسم عواطف الناس، ثم لا يحتاج إلى جهد غير عادي لإقناع السامعين بأهمية ما يتحدث عنه أو يدعو إليه، فإكرام الجار واحترامه وجمائته بدهيات لدى الناس كافة . فاكتمى بذكر ما يفعل هو عندما يكون له جار، أو عندما يمدح أحداً بذلك . وقد رأى الباحث أن يجعل هذا البحث عرضاً للصورة التي يؤمن العربي بها نحو هذه العادات الكريمة كما وردت في شعرهم وأن يجمع ما خص حق الجار في بحث يضعه أمام القراء ولم يكن من أهداف البحث التدخل في فلسفة العادات الاجتماعية حتى لا يخرج الحديث إلى أشياء لا يستطيع الباحث أن يورد الدليل من الشعر عليها . وإنما أراد عرض آراء الشعراء كما نص عليها الشعر ووصف الخطرات النفسية وربط سياق الشعر بالظواهر

الاجتماعية وبسياق التطور التاريخي وحسبه ذلك حتى لا يدفع حب الإكثار من ترديد النصوص والآراء والنقولات إلى ضرب من التحمل أو سوء التفسير. كما أن هذا البحث هو واحد من سلسلة بحوث سيجمعها إطار عام يعطي لها صورة كاملة غير مجزأة. وستسبقها مجتمعة مقدمة طويلة تتناول فلسفة العادات الاجتماعية عند العرب وتعلل بواعث الالتزام بها والاستمرار عليها.

لقد كانت الوحدة الاجتماعية والسياسية الظاهرة على أرض الجزيرة في الجاهلية هي القبيلة، وكانت تشكل في تكوينها مجموعات بشرية مستقلة بعضها عن بعض. يقوم هذا الاستقلال على أساس أن كل قبيلة تنتمي إلى جد أعلى يربط بينها بوشائج النسب، فتعد القبيلة أن كل من لم يشاركها النسب هو أجنبي عنها بعيد منها.

وقد أصبح لكل قبيلة أرض تقيم فيها وتحافظ عليها وتحميها ولا تسمح أن يعيش معها أحد من غير أبنائها إلا بإذنها ورغبتها على الرغم من أن الجزيرة العربية مفتوحة والاتصال أمر لا بد منه لتشكيل البنية الاجتماعية والاقتصادية لسكانها. وكان لا بد من قيام نوع من الاتصال ونشوء علاقة بين الناس، وقد شعرت القبائل العربية في جاهليتها بأهمية التقارب والاتصال وتقوية العلاقات الاجتماعية فأقامت الأسواق التجارية، واجتمعت فيها، وأوجدت الأشهر الحرم ومنعت فيها القتال لكي يسمح ذلك بشيء من الاستقرار. وهو إرهاب سبق الإسلام وأذن به وكسر الحواجز القائمة، وفتح الدوائر المغلقة بين القبائل المختلفة.

وقد كان الجوار أقوى تلك المظاهر التي جعلت الاتصال قوياً الدلالة في مجتمع الجزيرة، فاعترف العرب به وصار تقليداً اجتماعياً محترماً بينهم، ونشأت له أسس وأعراف ملزمة، ونمت منه علاقات قوية، وفتحت خلاله سبل الالتقاء المباشر المنظم المعترف به. وعندما جاء الإسلام كان الجوار أقوى صور الاتصال المباشر بينهم.

### الحوار لغة

لا بد من تعريف موجز للحوار عند العرب ومكانته عندهم وما يتعلق به من حقوق وواجبات، وسيكون التعريف مختصراً الاختصار كله لأنني فصلت الحديث عن قيمة الحوار ومضامينه الاجتماعية في بحث سيأتي الحديث عنه.

جاء في تهذيب اللغة (مادة ج و ر) الجار الذي يجاورك، وجاور بني فلان تحرم بجوارهم، والجار الحليف والناصر، والجار الجنب ألا يكون له مناسبا فيجيء إليه ويسأله أن يجيره. وجاء مثله في كتاب الجيم وفي لسان العرب.

من هذا العرض يظهر أن معنى الجوار هو الحماية والنصر من القوى القادر للضعيف والغريب ومن لا تجب حمايته بغير سبب الجوار، والحماية تعد تعبيراً عن قوة المجير وقدرته وسيادته في قبيلته واحترامه في حيه. بينما تعد حاجة المستجير إلى الحماية وانضوائه تحت كنف القوة دليلاً على ضعفه وتنازله عن حقه في الدفاع عن نفسه إلى من استجار به. وبهذا المعنى يكون طرفا القضية.

أولاً المجير: الذي يطلب الضعيف أو الغريب حمايته.

ثانياً المستجير: الذي يطلب الحماية ويرغب في إضفاء الجوار عليه.

والعامل لدى طرفي المعادلة عامل معنوي وذاتي، فالمجير إذا أعلن جواره لأحد يكون قد أعلن قدرته على الحماية وتحديه لكل من يمس الجار بسوء ويصبح الاعتداء على المستجير تحدياً للمجير نفسه. وعن الجوار تنشأ علاقات إنسانية قوية بقي من مدلولاتها الاجتماعية ما سجله الشعراء في الماضي.<sup>(١)</sup>

(١) مرزوق بن صنيان بن تنباك، «الحوار في الشعر العربي حتى العصر الأموي»، «حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الرسالة السبعون، ١٤١٠-١٤١١هـ (١٩٨٩-١٩٩٠م).

أما بعد الإسلام فقد تطور مفهوم الجوار ولم يعد من الضرورة أن تكون الحماية أهم عناصره وإن أقر الإسلام الحماية فقد جعلها حالة خاصة تحث على إكرام الجار وتجعل ذلك من كمال الخلق ورسخ الإيمان بمضمونه الاجتماعي دون المضمون السياسي الذي أصبح من حق الدولة الإسلامية. وقد نصت وثيقة المدينة في عهد الرسول ﷺ على حقوق الجار ونظمتها وجعلت الجار كالنفس غير مضار<sup>(٢)</sup> ونزل القرآن الكريم يذكر الجوار وحقوقه ويفصل ذلك<sup>(٣)</sup> بل كاد الإسلام أن يجعل حق الجوار كحق قرابة النسب فجاء الأثر المعروف «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». <sup>(٤)</sup> وقد استقصيت ذلك كله في بحث «الجوار في الشعر العربي القديم». <sup>(٥)</sup>

### الجارة

أما الجارة وهي موضوع هذا البحث خاصة فإن العرب في جاهليتهم نظروا إلى حرمتها نظرة لاتنفصل عن النظر العام لحقوق الجوار. والمرأة الجارة تكون في كنف القوم أضعف مستجير وأقل ناصر لذلك اهتموا بحمايتها وصون كرامتها، ومدحوا من يحافظ عليها ويرعى حق جوارها، وقد شهد شعرهم في هذا المجال بما يعدونه من كمال المروءة. وعندما جاء الإسلام مدد العمل بمكارم الأخلاق وحث على فضائل الأعمال، وعظم حق الجوار عامة وحق الجارة خاصة. فصار صون عفة الجارة خلقاً دينياً وسلوكاً اجتماعياً محموداً وجاءت آثار وأحاديث تحث عليه وتجعل الاهتمام بالجارة والمحافظة عليها منطلقاً اجتماعياً ودينياً مقدساً، فانفتقت تقاليدهم في الجاهلية مع روح الإسلام.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (بيروت: دار الجليل، ١٩٧٥م)، مج ٢، ص ١٠٨.

(٣) جاء في القرآن الكريم عدد من الآيات في سور مختلفة تذكر حق الجار منها: سورة الأنفال، الآية ٣٦، ٤٨؛ سورة التوبة، الآية ٦؛ سورة الأحزاب، الآية ٦٠؛ سورة المؤمنون، الآية ٨٨؛ سورة الجن، الآية ٢٢.

(٤) الإمام الحافظ الذهبي، حق الجار، تحقيق هشام السقا (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص ٢٢.

(٥) ابن تنباك، «الجوار».

وقد تتبع البحث دواوين الشعر الجاهلي وصدر الإسلام وعصر بني أمية وأحصى ما ورد فيها عن هذا الموضوع، فكانت حصيلته من الشعر قليلة. كما وجد أن لبعض الشعراء اهتماماً متميزاً أكثر من اهتمام غيرهم من الشعراء، فحاتم الطائي مثلاً خص الجوار بشيء غير قليل من شعره في حين أننا نجد شعراء غيره قلَّ عندهم الحديث عن الجار ولم يذكره إلاّ عرضاً متعلقاً بموضوع آخر، ونوع ثالث خلا شعرهم من ذكر الجوار بتاتاً.

لكن ما وصل من الشعر على قلته يبين مفهوم العرب للجوار وحقوقه عندهم ومدى فخرهم به وذكرهم للوفاء بما يلتزمونه من تقاليد عربية وهو أمر متفق عليه وإن قلَّ ذكره عند شاعر من الشعراء وكثر عند آخر فإن الاقتناع به عام لديهم.

وعندما تناولت الجوار عند العرب ومضمونه في الشعر، كنتُ أنظر إلى دلالة الاجتماعية بنظرة تفحص بواعث هذا الخلق ودوافع الاهتمام به عندهم، وأسباب حفاظهم على حقوق الجار وواجباته واقتناعاتهم بذلك وما يتطلبه لازم الجوار من عناية خاصة.

وكانت حماية الجار هي أبرز ما ظهر في الشعر الذي تحدث عن حقوق الجوار وواجباته ووصف الدفاع عن الجار إذا نزل في كنف القوم وجعل ذلك دليلاً على مروءة العربي ورفيع مكانته في الناس. وكنتُ أنظر إلى الجوار من هذا المنطلق. لكن عندما جمعت ما تيسر من مادة وعدت لتصنيفها ظهر أمامي ما لفت نظري وهو تميز الحديث عن الجارة إذا ظهرت فيه روح خاصة ونغمة متميزة وشعور ملح جعلني أعيد القراءة مرة أخرى لما بين يدي من الأبيات فوجدت أن نصيبها شيء لا يستهان بمضمونه على الرغم من قلة مادته، عندئذ عزمت أن أجعل ما تناول حق الجارة خاصة من الشعر بحثاً منفصلاً وإن قلَّ. والسبب الذي دفعني إلى ذلك هو خصوصية المعنى الذاتي الكريم الذي أستشعره، وأنا أتابع ما قال الشعراء فأجد أن في قولهم دلالة اجتماعية إنسانية، وأنهم عندما يتحدثون عن حرمة الجوار عامة لا ينسون الخصوصيات في هذا العموم، ولا سيما المرأة الجارة التي تحظى بشيء غير قليل من الزخم النفسي الذي يصف أخلاقهم وكمال عاداتهم وأصالة تقاليدهم.



ولا أجد فيما أنا بصدد الكلام عنه أجمع لعادات العرب في جاهليتها وإسلامها، ولا أصدق على صفاء أخلاقها ومروءتها وقربها من الفطرة والكمال من حديث رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.»<sup>(٦)</sup> وهو دليل على أن مكارم الأخلاق عند العرب في جاهليتهم كانت على وشك الكمال والتام ولا يشوبها غير الشرك بالله وعبادة الأصنام فجاء الإسلام بالتوحيد فطهرهم وكملت أخلاقهم وكرمت طباعهم. وهذا سيقود إلى شرح لبعض مكارم الأخلاق التي كانت عندهم في جاهليتهم وكانوا يرعونها ويحافظون عليها، ثم جاء الإسلام فزاد الأخلاق الكريمة تمكيناً ورسوخاً في عقائد العرب المسلمين مثلما كانت قوية راسخة وحية مشرقة عند العرب الجاهليين.

ولا شك أن المعنى الذي دار حوله الشعر هنا نموذج قليل ومثال للتدليل على ما يريد العربي أن تكون عليه أخلاقه وهو شاهد على قيمة الأخلاق التي يؤمن بها أشد الإيمان، ولا يتنازل عن شيء منها فيما يواجهه من تغيرات الحياة وصروف الدهر؛ لذلك كان في شعره مهاجماً عنيفاً لكل ضعف يطرأ على سلوك المرء نحو اهتزاز العقيدة الراسخة بحق الجارة وحرمتها ووجوب الوفاء لها حتى لو جاع هو ومن حوله من أهله فإنه يحاول ألا تجوع جارتها وهي بكفنه.

أما في هذا البحث الذي سيتناول المرأة الجارة خاصة ويتناول حقها عندما تكون جارة لحي من العرب، والواجب نحوها فيما قبل الإسلام، فقد تركز في محاور دارت كلها حول صونها وكرامتها وعفتها وأنها حصان لا يهتك لها ستر ولا يجرؤ على ذلك أحد، وعندما جاء الإسلام أكد القيم التي عرفتها العرب وعظّمها وزاد عليها. فنصت تعاليمه السمحة على تحريم جميع المفاسد الاجتماعية على الناس، ومنها الزنا بكل صورته وأشكاله. ولكنها مع التشدد في تحريمه ضاعفت عقوبة الزنا في حال خاصة وهي أن يزني الرجل بحليلة جاره. جاء في الحديث الشريف<sup>(٧)</sup> «لأن يزني الرجل منكم بعشر نسوة خير له من أن يزني بحليلة

(٦) أحمد بن حنبل، المسند (دمشق: المكتب الإسلامي، د. ت.)، مج ١، ص ٧٨١.

(٧) طه عبدالله العفيفي، حق الجار، ط ١ (القاهرة: دار الاعتصام، د. ت.)، ص ١٤؛ وانظر: الذهبي، حق الجار، ص ٢٨.

جاره . « وهو الأمر الذي كانت تحرمه العرب في الجاهلية وتعظمه ، وقد ورد شعرهم يحكي سموهم عن الجارة وابتعادهم عنها وتعظيم حرمتها حيث ينسب للأعشى قوله : (٨)

وَلَا تَقْرَبَنَّ جَارَةً إِنَّ سِرَّهَا      عَلَيْكَ حَرَامٌ فَانْكَحْنِ أَوْ تَأْبَدَا

ويقول في موضع آخر من ديوانه : (٩)

وَجَارَةٌ جَنْبِ الْبَيْتِ لِاتَّبَعِ سِرَّهَا      فَإِنَّكَ لِاتَّخَفَى عَلَى اللَّهِ خَافِيَا

فهذا رأيه فيما يتعلق بحق الجارة، على الرغم مما عرف عنه من غرام بهذا الجانب حتى ساقته الروايات أحاديث مفادها أنه أراد أن يفد على الرسول ﷺ ويسلم فلما عرفت قريش ذلك حاولت صده حتى لا يكون شعره مناصراً للدعوة الجديدة، ولم تجد ما تصده به عن محمد ﷺ إلا أن دينه يحرم الزنا والخمر. وقد روت الروايات والقصص أن ذلك كان سبب عودته وردته عن الوفاة. (١٠) وشاهدنا فيما سقنا هنا هو أنه حتى مع تأصل هذا الخلق في نفسه وما شهر به طبعه فإنه ينشد الشعر معظماً في عرفه الاجتماعي خطيئة ما يرتكب من الزنا إذا كان ذلك بحليلة الجار وينهى عنه ويأمر بالابتعاد منه إكراماً لحقها واعترافاً بحرمتها وشعوراً بواجب الرعاية التامة لها، وبيان دلالة الالتزام نحوها، وهو شعور يعد جانباً من المروءة التي يتصف العربي بها وسنعرض من الشعر ما يحمل دلالات اجتماعية راقية تبعد بأخلاق الإنسان حتى عن وساوس النفس الأمارة بالسوء وعن مجرى الشك ولو كان بين الإنسان ونفسه وتحت على سلوك إنساني رفيع ومعنى كريم وخلق يستحق المعالجة. فقد مر مالك بن أنس فقيه المدينة بقينة تغني شعراً تقول فيه :

أَنْتِ أُخْتِي وَأَنْتِ حُرْمَةٌ جَارِي      وَحَقِيقٌ عَلَيَّ حِفْظُ الْجَوَارِ  
إِنَّ لِلْجَارِ إِنْ تَغَيَّبَ غَيْبًا      حَافِظًا لِلْمَغِيبِ وَالْأَسْرَارِ

(٨) ميمون بن قيس الأعشى ، ديوان الأعشى (بيروت : دار صادر، د.ت.) ، ص ٤٦ .

(٩) الأعشى ، ديوان ، ص ٣٨١ .

(١٠) أبو الفرج الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، ط ٤ (بيروت : دار الثقافة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م) ، مج ٩ ،

مَا أَبَالِي أَكَانَ لِلْبَابِ سِتْرٌ مُسَبَّلٌ أَمْ بَقِيَ بَغَيْرِ سِتَارٍ  
فوقف يستمع إليها ثم قال: «علموا أهليكم هذا ونحوه.» (١١)

### الجارّة الحصان

الحديث عن حقوق الجار في أغلب ما بين أيدينا من الشعر هو في الحقيقة حديث عن النفس وليس حديثاً عن الجار لأن الشاعر يذكر عزة جاره في سياق فخره بنفسه والتزامه بالروءة وتحديه لأحد أن يخفر ذمته أو يهين جواره وقد سبق التعريف بأن الغرض من طلب الجوار هو الحماية، ومادام الجار يحتاج الحماية فإن الحامي يجب أن يكون قوياً وشجاعاً وذا هيبه في قومه حتى يحقق الحماية لجاره ثم يكون كريماً معطاءً وذا مروءة والتزام أخلاقي رفيع وهذه الصفات هي المفخرة له يذكرها في شعره وينشرها بين الناس، ويكون الحديث عن الجار وصفاً لموقف ذاتي عن الشاعر نفسه أو عن قومه.

أما حق الجارّة وهو جزء من القيمة الاجتماعية التي يحمدها الشعراء ويمجدون الوفاء بها فإن حديث الشاعر عنه يكون ذا صلة بالموضوع العام من أحد جانبيه وهو الجانب الذي يوافق مكانتها في محيط الصورة الشاملة للجوار والفخر به. وإذا كانت الحماية العامة والإيواء والأمن من الحق المعروف الشامل للجوار فإن للمرأة الجارّة خصوصيات حددها الشعر تتعلق بوضعها كامرأة تحتاج من الحماية ما لا يحتاجه الرجل.

وسنجدل المحاور التي برزت في الشعر الذي تعرض لمكانة الجارّة وهي ثلاثة محاور أساسية دار حولها ولم يخرج عنها:

الأول: المحافظة على شرفها مادامت نازلة في جوار العربي الكريم.

الثاني: الستر لها وعض الطرف عنها وعدم التطلع إليها أو الطمع فيها.

(١١) يوسف القرطبي، بهجة المجالس، تحقيق محمد مرسي الخولي (بيروت: دار الكتب العلمية،

د.ت.)، مج ١، ص ٢٩٠.

الثالث: القيام بسداد الحاجة إن احتاجت حتى لا تنجو ولا تعرى ولا تصيها مسغبة وهي بجواره.

هذه المحاور الثلاثة هي التي وجدنا الشعر يدور حولها وألح الشعراء الذين تعرضوا للحديث عن الجارة على أنها في جوارهم تبقى موفورة العرض مصونة الجانب وافرة الشرف، حصاناً لامتسها يد لامس بعيدة عن كل ريبة، مما يوحي بأن الحماية لها تعدُّ حماية خاصة مضافة إلى الحماية العامة التي يقتضيها حق الجوار لها ولأهلها، وهذه الحماية الخاصة تبدأ بصون عفاف الجارة عن الجار نفسه وعن غيره فيأتي الحديث عنها مبعداً الطمع فيها، رافعاً مكانها فوق الثرياء لأنها حلت في جوار رجل لا ينال أحد حماه ولا تخول لأحد نفسه أن يחדش كرامة الجارة. وقد قبح حاتم الطائي أن يطمع الرجل ذو المروءة بجارته أو تحدثه نفسه بزيارتها تحت جناح الليل فقال منكرًا أن يحدث ذلك: (١٢)

إِذَا مَا بَتُّ أَخْتُ لُ عِرْسَ جَارِي لِيُخْفِي الظَّلَامُ فَلَا خَفِيْتُ  
أَفْضَحُ جَارَتِي وَأَخُونُ جَارِي مَعَاذَ اللَّهِ أَفَعَلُ مَا حَيْتُ  
فقد حصر الشاعر ذلك بعلاقة ذاتية فردية هي الترفع عن الجارة والتسامي مع خصال المروءة فهو الذي يجعل لجارته هذا المكان الرفيع حيث لا يطمع أحد بالعدوان الشائن عليها فيظهر الدفاع عنها والبطش بالمعتدين ثم يتحدث عن سلوك ذاتي الإرادة، فيستبعد أن يسوء نفسه بما لا يحمد فعله ويلج الشعر العربي على هذا المعنى في عدد من الأبيات منها: (١٣)

وَمَا أَنَا بِالْمَاشِي إِلَى سِرِّ جَارَتِي طَرُوقًا أَحْيِيهَا كَأَخْرَجَانِبِ  
ومنه: (١٤)

وَلَا نَطْرُقُ الْجَارَاتِ مِنْ بَعْدِ هَجَعَةٍ مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا بِالْهَدِيَّةِ تُحْمَلُ  
وأيضاً منه: (١٥)

(١٢) حاتم الطائي، ديوان حاتم الطائي، تحقيق عادل سليمان جمال (القاهرة: مطبعة المدني، د. ت. .)،

ص ٢٢٣.

(١٣) الطائي، ديوانه، ص ٢٠٤.

(١٤) الطائي، ديوانه، ص ٢٣٢.

(١٥) الطائي، ديوانه، ص ٢٦٣.

فَأَقْسَمْتُ لَا أُمِثِّي إِلَى سِرِّ جَارَتِي يَدَ الدَّهْرِ مَا دَامَ الْحَمَامُ يُغَرِّدُ  
وكل هذه الأبيات منسوبة لحاتم الطائي يورد فيها معنىً جديداً للمحافظة على كرامة الجوار  
وحرمة المستجير لا من عدو يعتدي ولا من غالب يفرض قوته عليه، ولكنه يستبعد من نفسه  
العدوان ويغلق ميل الطبع المركب في جبلة الإنسان. ثم يؤكد أن هذا الميل إن وجد عنده  
فليس إلى الجارة ولا يمس كرامة المستجير بل إنه يأخذ معناه الشامل ونظرته إلى مجمل الجوار  
ولوازم الحماية التي يتحلّى بها الخلق الرفيع ويجعل المستحيل كله أن تحدّثه نفسه بما يبعث  
الريبة والشك عند جاره، أو يمس احترام جازته، ولعل الإلحاح من حاتم على تأصيل خلق  
المروءة يعود إلى تمسكه بأخلاق ذاتية ومثاليات خاصة به إذ إنه في مجمل ما حفظ له من شعر  
يُبرِّزُ الجانب المشرق في السلوك الإنساني فيتحدث عن الكرم فيسهب، ويصف حسن الجوار  
فيثني عليه ويتكلم عن الجود فيطيل. ولا غرو أن تكون الجارة في شعره صورة يرسم عليها  
معاني المحافظة الكاملة ويجعل شعره معبراً عن تصوّره لما يجب أن يكون لها. وإذا نظرنا إلى  
المعنى نفسه عند شعراء آخرين غير حاتم وجدنا عقيل بن علفّة المري يوافق حاتمًا كل  
الموافقة على ضرورة الوفاء والترفع عن ما يسوء الجارة أو يسيء الجوار، ويسوق رأيه واضعاً  
نفسه وطبيعة سلوكه المترفعة عن الممارسات الخاطئة مُعرّضاً بمن لا يرقى سلوكه إلى مستوى  
أخلاق عقيل ومخافته، فيقول: (١٦)

وَلَسْتُ بِسَائِلِ جَارَاتِ بَيْتِي      أَغْيَابِ رِجَالِكِ أَمْ شَهْوُدُ  
وَلَا أَلْقِي لِذِي الْوَدَعَاتِ سَوْطِي      الْأَعْبُهُ وَرَبَّتَهُ أُرِيدُ  
وَلَسْتُ بِصَادِرٍ عَنِ بَيْتِ جَارِي      صُدُورِ الْعَيْرِ عَمْرَةَ الْوَرْدُ

أما تميم بن أبي بن مقبل فيبعد صفة اللوم عن نفسه ويزعم أنه لا يفعل ما يمس كرامة الجارة  
أو يسيء إليها ويظهر سلوكه الممتاز زاعماً أنه لا يمكن أن يحدث منه ما قد يحدث من بعض  
من لم تتأصل في نفسه فروض الكرامة، عندما يدنو من حواء الجارة في ظلام الليل يقارب  
الخطو ويخفي الشخص ويندس اندساس الرجل اللئيم فيضعف وازع الإرادة الحازمة  
عنده. ويدفعه ضعف نفسه فيطمع بجارته ويرتحل السكون وهدوء الحي يقارب الخطو

(١٦) أحمد بن محمد المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف

والترجمة والنشر، ١٣٧٠هـ/ ١٩٦٧م)، مج ١، ص ٤٠٠.

ويخفي الشخص خوف الناس، فيرسم الشاعر ذلك السلوك بصورة متقزمة دميمة  
فيقول: (١٧)

وَلَا أَطْرُقُ الْجَارَاتِ بِاللَّيْلِ قَابِعًا      قُبُوعَ الْقُرُنْبِيِّ أَخْطَأَتْهُ مَحَافِرُهُ

وقد أكد الشعراء بأبيات كثيرة أنهم لا يأنسون إلى زيارة الجارة إذا كانت خالية والحي  
خلوف، وليس من شيمهم الحديث إليها في تلك الحال حتى لا يجر الحديث إلى ما يحشاه  
الكريم وذو المروعة، يقول هلال بن خثعم: (١٨)

وَإِنِّي لَعَفْتُ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي      وَإِنِّي لَمَشْنُوءٌ إِلَيَّ اغْتِيَابُهَا  
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا      زَعُورًا وَلَمْ تَأْنَسْ إِلَيَّ كِلَابُهَا  
وَلَمْ أَكْ طَلَابًا أَحَادِيثِ سِرِّهَا      وَلَا عَالِمًا مِنْ أَيِّ جِنْسٍ ثِيَابُهَا

ويقول قيس بن الخطيم: إن عينه لا تلمع إلى غرة الجارة ولا يمتد طرفه نحوها على غفلة.  
وعندما تكون بعيدة فإن النظر لا ينتقل إليها، ويزيد ذلك بسؤال استنكاري يبعده عن كل  
ما يقربه من شك يسيء إلى الجوار فيقول: (١٩)

وَهَلْ يَحْذَرُ الْجَارُ الْقَرِيبُ فِجِيعَتِي      وَخَوْنِي وَيَبْغِضُ الْمُقْرِفِينَ خَوْوُنُ  
وَمَا لَمَعَتْ عَيْنِي لِغِرَّةِ جَارَتِي      وَلَا وُدَّعَتْ بِالذَّمِّ حِينَ تَبِينُ

(١٧) أبي بن مقبل، ديوان ابن مقبل، تحقيق عزة حسن (دمشق: مديرية إحياء التراث القديم،  
١٣٨١هـ/١٩٦٢م)، ص ١٥٤.

(١٨) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الخلاء، ط ٦، تحقيق طه الحاجري (بيروت: دار  
المعارف، د.ت.)، ص ١٧٣؛ والأبيات منسوبة إلى بشار بن بشر المجاشعي في: القرطبي، بهجة  
المجالس، ص ٢٩١؛ وانظر: عبدالله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار (بيروت: دار الكتاب  
العربي، د.ت.)، مج ٣، ص ١٨٣؛ ومعها البيتان التاليان:

وإن قراب البطن يكفيك ملؤه      ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها  
إذا سد باب عنك من دون حاجة      فذرها لأخرى لئن لك بابها  
وأميل إلى أن هذه القطعة هي لبشار بن بشر المجاشعي وليست لهلال بن خثعم كما روى الجاحظ في  
بخلائه.

(١٩) قيس بن الخطيم، ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط ١ (دمشق: دار صادر،  
١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ص ١٦٥.

ويصف زهير بن أبي سُلمى نفسه بأنه يعف عمًا يؤدي شعور الجار فلا يديم النظر إلى جارته  
لا في سر ولا علانية فيقول: (٢٠)  
وَجَارِي لَيْسَ يَحْشَى أَنْ أُرِيَّ حَلِيلَتَهُ بَسِرًّا أَوْ عِلَانِ  
وعند طفيل الغنوي اقتناع آخر بهذه المثل الكريمة والأخلاق المحمودة يجسدها في أبيات على  
شاكلة قوله: (٢١)

وَلَا أَقُولُ لِجَارِ الْبَيْتِ يَتَّبَعُنِي نَفْسِي مَحَلَّكَ: إِنَّ الْجَوَّ مَحْلُولُ  
وَلَا أُخَالِفُ جَارِي فِي حَلِيلَتِهِ وَلَا أَبْنِ عَمِّي غَالَتْنِي إِذْ نَ غُولُ  
وَلَا أَحَدُّدُ أَظْفَارِي أَقَاتِلُهُ إِنَّ لِلطَّامِ وَقَوْلَ السُّوءِ مَحْمُولُ  
وهو يؤكد المعنى الذي تواترت عليه أبيات الشعراء عن حرمة الجارة وقرية الدار، ويشرك  
مع الجارة زوجة ابن العم مشيراً إلى التعفف عن حرمان هذين لمكانتهما معلناً رعاية حقهما  
وإن بعدا أو غابا وتهيات أسباب الوصال من الطرف الآخر فالإباء من جانبه أقوى من ذاته  
وأعم والرعاية لهذه الحرمان لن يمس القناعة بها حتى الرضا من الطرف الآخر وغياب  
الرجل صاحب العلاقة.

ومهما كانت العوامل التي يتعرض لها من جانب المرأة أو حدوث الفرصة، فعنده قصد  
ثابت ومرام لا يتغير يسعى به إلى الغاية التي جعلها سبب امتناعه حيث يرى رأيه عدد من  
الشعراء الذين يوافقونه ويؤيدون قناعته بشعر مثل شعره ومن هؤلاء كثير عزة الذي  
يقول: (٢٢)

نِسَاءُ الْأَخِلَاءِ الْمُصَافِينَ مَحْرَمٌ عَلَيَّ وَجَارَاتُ الْبَيْوتِ كَنَائِنُ

(٢٠) زهير بن أبي سُلمى، ديوان زهير بن أبي سُلمى (القاهرة: الدار القومية للطباعة، ١٣٨٤هـ /  
١٩٦٤م)، ص ٢٥٦.

(٢١) الطفيل الغنوي، ديوان الطفيل الغنوي، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد (بيروت: دار الكتاب  
الجديد، ١٩٦٨م)، ص ٨٥.

(٢٢) كثير عزة، ديوان كثير عزة، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م)،  
ص ٣٨٠.

ويأتي الأحوص الأنصاري بشيء من التفصيل ويعلل لماذا يترفع من امرأتين خاصة دون غيرهما. امرأة الصديق وجارة الجنب فيقول: (٢٣)

ثُنْتَانِ لَا أَدْنُو لَوْصِلِهَمَا عَرَسُ الْخَلِيلِ وَجَارَةُ الْجَنْبِ  
أَمَّا الْخَلِيلُ فَلَسْتُ فَاجِعَهُ وَالْجَارُ وَصَانِي بِهِ رَبِّي

فالأحوص وكثيرٌ يتنازعان معنى لطيف الدلالة على مروءة العربي ونظرته إلى حدود العلاقة بين الرجل والمرأة وعوامل التغير في نظرتها هي أن كثيراً خلط نفسه بأصدقائه وجعل حرمتهم واحدة ونساءهم محارم له لا يحل له منهن غفلة، وجارات بيته كئنان له مصونات لا يريبهن منه ريبة ولا تحدته نفسه بذلك، في حين نجد الأحوص يحدد المرأتين اللتين يعف عنهما، امرأة الصديق الذي قويت به أسباب العلاقة الشخصية، والجار الذي لجأ إليه. وله في كل منهما سبب يفسره، فهو لا يريد فجيعة الصديق؛ أما الجار فحقه إسلامي ووصاية دينية لا يحل له مخالفتها. وعندما ينتقل الحديث من النفس وما يعتقد الشاعر بذاته إلى الجانب الآخر من الناس، ويأخذ الشعر في ذكر محامد الأجواد والثناء على مكارم أخلاقهم فإن هذه الخصلة تأتي رصيذاً يدفع الشعراء الحديث عنه إلى الأفواه ويصورونه بأضخم آيات الحمد والثناء ويجعلون البعد عن مساس الجارة خلقاً يمدح به المادحون ومكرمة يكررها الواصفون، فيقول حاتم في وصف قوم استحقوا الثناء في رأيه والمدح: (٢٤)

وَجَارَتُهُمْ حَصَانٌ مَا تَزْنَى وَطَاعِمَةُ الشُّتَاءِ فَمَا تَجُوعُ

أما الخنساء فتصور أباها بعد موته بأنه كامل المروءة وتخلع عليه صفات الرجال الكاملة وتضفي على سلوكه خصال التقدير فتقول في وصفه: (٢٥)

وَلَا يَقُومُ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَشْتُمُهُ وَلَا يَدِبُّ إِلَى الْجَارَاتِ تَحْوِيْدَا  
وفي بيت آخر تعود إلى أخيها فتصف عميق إيمانه بقيمة العادات الاجتماعية وأهمية المحافظة عليها عنده فتقول: (٢٦)

(٢٣) الأحوص الأنصاري، ديوان الأحوص، تحقيق عادل سليمان جمال (القاهرة: الهيئة المصرية للتأليف، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ص ٨٣.

(٢٤) حاتم الطائي، الديوان، ص ١٤٨.

(٢٥) تناصر الخنساء، ديوان الخنساء (بيروت: دار صادر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص ٤٠.

(٢٦) الخنساء، الديوان، ص ٤٩.



لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لِرِيَّةٍ حِينَ يُخْلِ بَيْتَهُ الْجَارُ  
 أما جارة شبيب بن البرصاء فهي لا تكاد تقع عليها عين ولا تصلها مذمة وهي آمنة أمن  
 الأروى المعصمة في قنة الجبل الأشم، وما ذلك الجبل والشمم إلا حصن الشاعر وقومه  
 الذي يضعونه دون الجارات ويصدون به طمع الطامعين فيهن المتطلعين إليهن فيقول: (٢٧)  
 يَدُلُّ عَلَيْنَا الْجَارَ آخِرُ قَبْلَهُ وَأَحْلَامُنَا مَعْرُوفَةٌ وَسَدَادُهَا  
 وَجَارَاتُنَا مَا دُمْنَ فِينَا بَعِزَّةَ كَأَرْوَى تَبِيرٍ لِأَجْلِ اضْطِيَادِهَا  
 إن قداسة علاقة الجوار كانت في رأيه مثل مكانة الحرم الذي لا يجراً على انتهاكها إنسان  
 ولا يستطيع أن يفعل ذلك حتى لو أراد لأن لها واقعاً متميزاً ومكانة تبعدها عن طمع  
 الطامعين، كما يمدح الحطيئة قوماً يحفظهم سر الجارة فيقول فيهم: (٢٨)

لَعَمْرُكَ مَا الْمَجَاوِرُ فِي كَلْبٍ بِمُقْصَى فِي الْجَوَارِ وَلَا مُضَاعٍ  
 هُمْ صَنَعُوا جَارَهُمْ وَلَيْسَتْ يَدُ الْخَرْقَاءِ مِثْلَ يَدِ الصَّنَاعِ  
 وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاعِ  
 وَجَارُهُمْ إِذَا مَا حَلَّ فِيهِمْ عَلَى أَكْنَافِ رَابِيَّةٍ يَفَاعِ  
 ويأخذ المعنى نفسه الأعشى فيمدح هودبة بن علي الحنفي وقومه بهذا الخلق الكريم  
 فيقول: (٢٩)

هُمْ الْخَضَارُمُ إِنْ غَابُوا وَإِنْ شَهِدُوا وَلَا يَرُونَ إِلَى جَارَاتِهِمْ خُنْعًا  
 قَوْمٌ بِيوتِهِمْ أَمْنٌ لِجَارِهِمْ يَوْمًا إِذَا ضَمَّتِ الْمَخْدُورَةُ الْقَرْعَا

### الجارة المستورة

بعد الإعراب المباشر الصريح عما في نفس المرء نحو جارته وحرمتها التي يربها  
 والقربة التي يدين بها تأخذ في الموضوع جانباً آخر، عندما يتحول الحديث المباشر إلى الكناية

(٢٧) محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر (القاهرة: مطبعة المدني،

١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، مج ١، ص ٧٢٧.

(٢٨) جرول الحطيئة، ديوان الحطيئة، تحقيق نعمان طه (القاهرة: مطبعة المدني، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)،

ص ١٣٨.

(٢٩) الأعشى، الديوان، ص ١٥٧.

عن الشيء ببعض لوازمه . والستر ستر البيت تكون وراءه الحرمات ومن هتك سترًا فقد قصد إلى اختراق حرمات الجار ولعل الشعر الذي نحن بصدد إيراده عن الجارة يأخذ الستر موضوعًا، ويجعل الشعراء له معنى عندما يحددون سلوكيات الناس الكريمة الفاضلة وتصير الكناية بالستر عما وراءه محورًا يدير الشاعر القصيدة حوله فيأخذ ستر الجارة حقه من الإشارة إليه والكناية عنه بمثاليات السلوك الطيب المحمود الراقي المتسامي إلى مكارم الأخلاق . ويأخذ الستر حقه أيضًا عندما يصف الشاعر ذلك المنحدر إلى مهابط الرذيلة ومشارع اللؤم وانحراف الإرادة السوية لدى الإنسان فيسير به هواه إلى منعطفات مظلمة ضيقة تقوده إلى النزول في سرايب الرغبة الممقوتة . فإذا أخذنا الجانب الأول وجدناه مشرقًا في لغة الشعر وضاء في عقلية الشعراء مشعًا في وجدانهم حيًا في أحاسيسهم وأحاسيس الناس حولهم فيمدح به المدوحون ويتقرب به المتقربون عندما يصفون أخلاق الكرم وضروب الشهامة عند العربي الكريم ، يقول الشاعر في ذلك مادحًا من هذه صفاته: (٣٠)

لَا يَهْتِكُ السُّتْرَ عَنْ أَنْتَى يُطَالِعُهَا وَلَا يُشَدُّ إِلَى جَارَاتِهِ النَّظْرُ  
فهو عف في كل حال لامتد له نظرة مريبة ولا يحاول اختراق الحجب والاقتراب من الحوزة بغض الطرف ويقصر الخطو ولا سيما عن جارة المنزل وقرية الدار . وهو وفي في الذمام كامل المروءة حتى تفارق الجارة وتبعد عنه حصانًا عفيفة لم تمس لها كرامة ولم يחדش لها حياء ، ويأتي المعنى نفسه لدى الأبيرد الرياحي فيقول: (٣١)

وَإِنْ جَارَةٌ حَلَّتْ إِلَيْهِ وَفَى لَهَا قَبَانَتْ وَلَمْ يُهَيْتِكْ لِجَارَتِهِ سِتْرُ  
ثم يأخذ الشعراء بالصعود العالي إلى قمم الشرف ومرتفعات المنازل يذكرون الأحوال والمتغيرات التي تحدث مع الزمن وقسوة الأيام واشتداد البأس فلا يتغير معدن الكرامة ولا يصاب لديهم صميم المروءة في دلالة واضحة على تأصل الخلق الذي يجعلونه للمعالي

(٣٠) محمد بن العباس الزبيدي ، كتاب الأمالي (الرياض : عالم الكتب ، د.ت .)، ص ١٦ .

(٣١) أبو علي القالي ، كتاب الأمالي (بيروت : دار الكتاب العربي ، د.ت .)، ص ٤ .

ويفرضونه على أنفسهم من أجل أن تبقى كرامة النفوس ومكانتها. يقول مسكين الدارمي: (٣٢)

لَا يَرْهَبُ الْجَيْرَانَ غَدَرَتْنَا      حَتَّى يُوَارِي ذِكْرَنَا الْقَبْرُ  
لَسْنَا كَأَقْوَامٍ إِذَا كَلَحَتْ      إِحْدَى السِّنِينَ فَجَارُهُمْ تَمْرُ  
مَوْلَاهُمْ لَحْمٌ عَلَى وَصْمٍ      تَتَابُهُ الْعِقبَانُ وَالنَّسْرُ  
نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ      وَإِلَيْهِ قَبْلِي تَنْزُلُ الْقِدْرُ  
مَا ضَرَّ جَارِي إِذْ أَجَاوَرَهُ      أَلَّا يَكُونَ لَبِيَّتِهِ سِتْرُ  
أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ      حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْخَدْرُ  
وَيُصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا      سَمْعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقْرُ

وهذا النص يتعامل مع الحياة الواقعة ويوظف الإبداع لتسمو الإرادة وترتفع إلى درجات الكمال ثم يكتشف معنى شمولياً وإحساساً عميقاً بوابل من صيب مبارك تمطر به سحائب أخلاق العرب ومكنون نفوسهم فيقوى فيه الغريب والضعيف ومن لا يستطيع الدفاع عن نفسه أو حماية عرضه، ولأن ميل النفس إلى المرأة يقوى بضعفها وغربتها فقد أصبحت الجاراة امتحاناً لما يدعي الرجل من أخلاق السمو والرفعة. وبدأ جانب الاهتمام بها يكبر والإحساس نحو حرمتها يتجدد أصله في النفوس حتى تبقى العلاقة معها ناصعة البياض مشرقة الديباجة لا يدنس لها جانب ولا يخفى منها خفاء، ليدعي كل جار أن هذا خلقه مع جارتها ونزيلة حيه وأنه غضيض الطرف إن انكشف حجاب الستر أو برزت في العراء بلا واق ولا مانع، عندئذ تكون أخلاقه هي الحاجب الواقى والمانع الذي لا تحترقه أسهم النظرات يقول الأعرج الطائي: (٣٣)

وَمَا أَنَا إِذْ قَامَتْ تَحْمَلُ جَارَتِي      بِمَا كَانَ مِنْ عَوْرَاتِهَا بِيَصِيرِ

(٣٢) مسكين الدارمي، ديوان مسكين الدارمي، تحقيق عبدالله الجبوري وخليل إبراهيم العطية (بغداد: دار البصري، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م)، ص ٤٥.

(٣٣) أبو زيد الأنصاري، كتاب النوادر في اللغة، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد (بيروت: دار الشروق،

١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص ٧٩.

ويقول عروة بن الورد إن الجارة في كنفه آمنة حتى عندما ينكشف عنها حجابها وتقلع الريح بيتها وتلوي به بعيداً عنها فتظهر الجارة أمامه دون ستر عند ذلك يتشاغل عن النظر إليها ويتغافل عن التطلع نحوها حتى يقيم الستر عليها. (٣٤)

وَلَا يُسْتَضَامُ الدَّهْرَ جَارِيٍّ وَلَا أَرَى  
وَأِنْ جَارَتِي أَلْوَتْ رِيَّاحَ بَيْتِهَا  
كَمَنْ بَاتَ تَسْرِيٍّ لِلصَّديقِ عَقَارِبُهُ  
تَغَافَلْتُ حَتَّى يَسْتُرَ الْبَيْتَ جَانِبُهُ

أما حاتم الطائي فيعود إليه الحديث مرة أخرى وهو يصور خلقاً آخر من أخلاق الكمال والسمو ويرتفع بعيداً في سماء الحياة التي يعيشها الناس حوله حتى يطل من عل على أبعاد الأرض تحته فتصبح بين يديه ينظر أين يضع خطو قدمه حيث لا تقع على وحل الطين اللازب، فيقول: (٣٥)

وَمَا تَشْتَكِينِي جَارَتِي غَيْرَ أَنِّي  
سَيِّلُغَهَا خَيْرِي وَيَرْجِعُ بَعْلُهَا  
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَا أُرْوَرُهَا  
إِلَيْهَا وَلَمْ تُقْصِرْ عَلَيَّ سُتُورُهَا

إن لستر الجارة عند الشعراء دلالة معنوية قوية تحددها التقاليد الاجتماعية وتدفع للمحافظة عليها خوف العار فيرسم الشعر لها صورة مشرقة حتى يبدو حرص الشاعر على اكتساب المحامد والظهور في مجتمعه بمظهر المروءة الكاملة. والجارة التي يصف التزامه بحقها صارت مجالاً للحديث الذي يمثل عند الشعراء أدبية الالتزام في جميع الأحوال ويجدد في ذاكرة الأجيال قيمة الأخلاق الفاضلة. ولا ينسى حظه عندما يذكر غيره، فيؤكد وفاءه بما للجوار من واجب، ويعلن أهمية الالتزام الأدبي نحو مثاليات التقاليد في مجتمع الجزيرة.

ولم نجد شاعراً ابتعد عن هذا الموضوع حتى الذين مدحوا غيرهم، كانوا في مدحهم يربطون بين الممارسات الشخصية للممدوح والقناعة الذاتية بالوفاء والالتزام، وكان حاتم الطائي مثلاً لظاهرة المعاناة ولو كلفه ذلك ذهاب ماله ونفسه. فيرسخ عمق الإيمان بمبدأ

(٣٤) عروة بن الورد، ديوان عروة بن الورد، شرح أكرم البستاني (بيروت: دار صادر، ١٩٥٣م)،

ص ١٦.

(٣٥) حاتم الطائي، الديوان، ص ١٠٧.

الصبر الدائم في جميع الأحوال فلا يعرف الظروف القاهرة ولا يقبل الخضوع للقوة ولا يلتمس العذر للخلاص من لوازم الجوار وواجباته .

وإذا كانت صورة الوفاء وإكرام الجارة والعناية بحقها فضيلة يمدح الشاعر فيها قومه ويفخر بها على من حوله ، فإن هجاء من يضعف عنده الوفاء بأخلاق الكرام يصير سبة وعاراً في نظر الشعر ، ويجد فيه الشاعر سبباً للهجاء فيهاجم المقصرين والعاجزين عن الالتزام بالأعراف والتقاليد المتفق عليها . ويتخذ الشاعر الضعف وسيلة للهجوم على الآخرين عندما يثور بركان الغضب في نفسه على جماعة من الناس أو على فرد من القبيلة ويحاول هذا البركان أن يحرقه اجتماعياً ومعنوياً ثم يذروه رماداً تطير به الرياح فلا يبقى له وجود ولا يعترف له بفضل ولا تصبح عنده حصانة أمام عدوان الغضب . في هذا الحال يصير فتيل الغضب وبركان الزلازل هو سلوك المهجو الرديء نحو الجارة وعدم تقديره لعظيم حقها عندما حلت بجواره واحتمت بكنفه ولاذت بحصن شرفه الوضع فيأتي الهجاء على هذا المعنى كما يقول جرير: (٣٦)

بَنَوْ نَخْبَاتٍ لَا يَفُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا جَارَةً فِيهِمْ تَهَابُ سُتُورُهَا  
إنه يعد التهاون عار الأبد والفضيحة التي لا تغتفر عندما يعير الرجل بجارته وتضعف نفسه عن مقاومة ميله أو انحراف سلوكه ، حتى لو كان الهجاء كاذباً أو مُدَّعى فإنها تصبح مؤلمة مرفوضة ينظر إلى ما يقول بكل استهجان وتقزز لا يقبله الشرف الكريم ولا يوصم به غير اللثيم . وليكن بعد ذلك ما يكون في نظر الشاعر، إنما الغرض الذي يريده ويسعى إليه هو أن يجهز بسرعة على خصمه ويقضي على رمق الحياة المعنوية فيه قبل أن يرد له ضربة قاضية . وليس أسرع من القضاء على الخصم غير أن يجعل شرف الجارة ، جارة الخصم في خطر منه قبل أن تجب فروض الوفاء لها من غيره . وهذا ما فعله عقيل بن علفة المري عندما أجهز على أعدائه بني الهجيم فلم يتردد من استعمال الضربة القاضية قبل أن يستعد الأعداء لرد الكيد ، يقول عقيل: (٣٧)

(٣٦) جرير بن الخطفي، ديوان جرير، تحقيق نعمان طه (القاهرة: دار المعارف، د.ت.)، ص ٢٠٦ .

(٣٧) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، مج ١، ص ٧١٣ .

إِذَا جَارَةٌ حَلَّتْ عَلَى الْمُهْجَمِ لَمْ تَجِدْ      كَرِيماً، وَلَمْ تَعْدَمْ لَيْمًا يَزُورُهَا  
أَمْ تَرَّ بَدْرًا لَا تُمَانِي دِمَاءَهُمْ      دِمَاءً، وَلَمْ يَعْقِدْ لَجَارٍ مُجِيرُهَا

فالشاعر يضحك المأساة التي يتحدث عنها هنا في هذه الأبيات عندما تجد الجارة غير الكريم في حي اعتمدت حفاظه وألقت بعبء الدفاع عنها عليه فلا تجد كريماً يحميها ويحفظ الحق المضاع لها في غربتها وبعدها عن حاميتها. ولكنها في رأي الهجاء تجد العكس، تجد اللئيم الذي يبحث عن ضعفها وغفلتها ويحاول التردد إلى منزلها ويكرر الزيارة الممقوتة لها حتى يحقق مطامع نفسه اللئيمة، ويلطخ الشرف الأسمى، إنها صورة يبعثها خيال الغضب، فيجسم قبح الممارسة السلوكية الخاطئة والأخلاق المنحرفة وإن لم يحدث شيء من ذلك إلا في خيال الشاعر الذي أثار الغضب حفيظته فهجا، ولا يعني أن ذلك يحدث في واقع الحياة، وحدوثه أو عدم حدوثه لا يغير شؤم النظرة إليه ولا يعني الباحث شيئاً من ذلك. إنها الذي يعنيه الدلالة الاجتماعية والرصد لثورة الغضب ومحاولة قتل الروح المعنوية لدى المهجو، فلا يجد الهجاء غير هذا القار الأسود الذي يرفع درجة حرارته إلى حد الغليان ثم يصبه على دماغ المهجو ليذويه تحت ضرباته الموحجة وأخلاقه الثائرة غضباً ثم يسحقه اجتماعياً. والهجاء يبعث الشاعر إلى البحث عن صور مرفوضة اجتماعياً فيقده غضبه زناد الشرر فيها ويشعل فتيل العار فيدمغ أعداءه بسوء الأخلاق ويصفهم بقبيح المنظر وكأنه شاهد على ما يقوم به

المهجو من سلوك الانحراف يقول أوس بن حجر هاجياً بني سعد بن مالك: (٣٨)

طُسُّ الْعِشْيَاءِ إِذَا مَا جَنَّ لَيْلُهُمْ      بِالْمُنْدِيَاتِ إِلَى جَارَاتِهِمْ دُلْفُ  
وَالْفَارِسِيَّةُ فِيهِمْ غَيْرُ مُنْكَرَةٍ      فَكُلُّهُمْ لِأَبِيهِ ضَيِّزٌ سَلْفُ

وكذلك يفعل أبو جلدة بن حبيب فيقول فيمن استحق هجاءه: (٣٩)

إِذَا اعْتَكَّرَتْ ظِلْمَاءُ لَيْلٍ وَنَوِّمَتْ      عُيُونُ رِجَالٍ وَاسْتَلْدُوا الْمَضَاجِعَا  
سَمَا نَحْوَ جَارِ الْبَيْتِ يَسْتَامُ عَرْسَهُ      يَزِيدُ دَبِييَا لِلْمَعَانَاةِ قَابِعَا  
وَإِنْ أَمَكَّنْتَهُ جَارَةَ الْبَيْتِ أَوْ رَنْتَ      إِلَيْهِ أَتَاهَا بَعْدَ ذَلِكَ طَائِعَا

كذلك تكون صورة المكث والاستئناس في بيت الجارة وفي حوائها من أقبح السلوك ولا يفعل

(٣٨) أوس بن حجر، ديوان أوس، تحقيق محمد يوسف نجم (بيروت: دار صادر، ١٣٩٩هـ/

١٩٧٩م)، ص ٧٥.

(٣٩) الأصفهاني، كتاب الأغاني، مج ١١، ص ٣٠٧.

ذلك في رأي الشاعر غير من لايرعى للجوار حرمة ولاينظر إلى مكارم الأخلاق، ويبقى إن فعل ذلك هدفاً لألسنة الشعراء حتى يسلبوا منه كرامته التي لم يرعها وخلقه الذي لم يصنه ولم يجد جرير عندما أراد هجاء الفرزدق إلا أنه ينادم في منزل جارته ويشارك غيره الحديث إليها والتبسط عندها، والأولى به لو كان ذا غيرة أن يغار على جارته من نفسه ثم يبعد عنها من يطعم بشيء لاترضاه كرامة الجار الكريم، فيقول: (٤٠)

حُمَيْدَةُ كَانَتْ لِلْفَرَزْدَقِ جَارَةً يُنَادِمُ حَوَاطًا عِنْدَهَا وَالْمُقَطَّعَا  
 إن هذه المنادمة عاز الأبد وخزي الدنيا وفضيحة لا يغفرها العدو لخصمه، فيرفع صوته معلناً الانهيار التام في أخلاق الخصم الذي رضي أن يرى جارته يحيط بها الرجال ويتنادم في منزلها العدد منهم وفيهم الجار الذي تجب عليه حمايتها وصون عفتها.

### الجاراة الطاعمة

لاشك أن الشح في الجزيرة العربية وندرة مصادر الرزق وما يتعرض له المجتمع العربي فيها من جوع وعوز وفاقة في كثير من الأوقات يجعل الإطعام الذي يمسك الرمق في بعض الأحيان معجزة يتحدث الناس عنها ويفخر بها الفاخرون، وإذا حدث أن أجذبت الجزيرة العربية وأبطأ الغيث وهلك الأخضر واليابس، أصبحت لقمة الطعام تعادل قناطر الذهب، (٤١) وأكثر الناس تعرضاً لمس الجوع هم العامة. والطارئون على الحي، فعليهم يقع النصيب الأوفر من قسوة الحياة، وأول من يتعرض للعوز هي الجارة التي بعدت عن حبيها وأقربائها وأهل الرأفة بها، لأن الغريب في الحي يوارى فقره ولايود أن يعلم أحد عن ضعفه وخصاصته حتى لا يكون ذلك سبباً بنزوله من كبرياء الترفع، وصورة التجميل، والمرأة الجارة أحوج إلى ذلك التجميل وأولى به، لهذا فإن الجار الكريم يشعر بالإثم إن جاءت بجواره وأهله شباع يقول عدي بن زيد: (٤٢)

(٤٠) جرير بن الخطفي، الديوان، ص ٢٦٤.

(٤١) ذكر الأستاذ حسين زيدان في ذكرياته عن العهود الثلاثة أن بيتين في المدينة المنورة كل منهما مكون من ثلاثة أدوار بيع كل منهما قبل خمسين عاماً بكيس أرز. انظر: محمد حسين زيدان، ذكريات العهود الثلاثة (الرياض: المؤلف، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)، ص ١٠٨.

(٤٢) عدي بن زيد، ديوان عدي بن زيد، تحقيق محمد جبار المعبيد (بغداد: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٥م)، ص ١٤٦.

وَبَسَّلْ أَنْ أَرَى جَارَاتِ بَيْتِي يُجْعَنَ وَأَنْ أَرَى أَهْلِي شِبَاعًا  
فلمشاركة التامة يوجبها الجوار على الكريم وتفرضها مروءته ولاسيما عندما يعرف عوز الجارة  
وحاجتها التي لن تكون ظاهرة معروفة، لاسيما في اشتداد الأزمات، وقد أحس الشعراء  
الذين تعرضوا للحديث عن الجوار الشامل بهذه الخاصية وتحدثوا عن موقفهم في حال البؤس  
وما ينعمون به على الجارة حتى تغنى فلا ترى بها خصاصة يقول حاتم الطائي: (٤٣)

وَإِنِّي لِأُخْزَى أَنْ تُرَى بِي بَطْنَةٌ      وَجَارَاتُ بَيْتِي طَاوِيَاتٌ وَنُحَفٌ  
وَإِنِّي لِأُغْشِي أَبْعَدَ الْحَيِّ جَفْنَتِي      إِذَا حَرَّكَ الْأَطْنَابَ نَكْبَاءَ حَرْجَفُ  
وَأَجْعَلُ مَالِي دُونَ عَرَضِي، وَإِنِّي      كَذَلِكَ مِمَّا أُفِيدُ وَأُتْلَفُ

ويقول في حق الجارة وعوز الحياة التي تتعرض لها مأساة الفقر الملازم: (٤٤)

أَشَاوِرُ نَفْسَ الْجُودِ حَتَّى تُطِيعَنِي      وَأَتْرُكُ نَفْسَ الْبُخْلِ مَا أَسْتَشِيرُهَا  
وَلَيْسَ عَلَيَّ نَارِي حِجَابٌ يَكْنُهَا      لِمَسْتَوْبِصٍ لَيْلًا، وَلَكِنْ أَنْيْرُهَا  
فَلَا وَأَبِيكَ مَا يَظَلُّ ابْنُ جَارَتِي      يَطُوفُ حَوَالِي قَدْرِنَا مَا يَطُورُهَا

لقد جعل ابن الجارة أحد أهل البيت يشعر العربي نحوه بشعور الأب الحنون فهو يأكل معه  
لايمنع عنه القدر ولايغلق عنه المنزل، ولاتكتمل مروءة الكريم حتى تكون له هذه الصفة.  
والجارة هي الأخرى يجب أن تحظى ببه وعطفه فيصل إليها خيره دون شره وطعامه دون  
كلامه. وهذا هو ما يتفق مع ما أخذ حاتم الطائي نفسه به من الحديث عن الكرم وتفصيل  
الأخبار عن ضروب الجود وشرحه في شعره لئيل طبعه إلى الكرم والبذل فينال الضيف من  
شعره نصيب وينال الجار من شعره نصيب ويجعل للجارة نصيباً يتحدث عن أخلاقه وما أخذ  
نفسه به من ضروب الإكرام. ويأخذ جرير المقابلة في معنى لطيف آخر ويقارن بين طلب  
الفضل والتطلع إليه وإدراكه وإن بعد، وفي مقابل ذلك قصر الخطو وكف وسائل الاتصال  
عن الجارة ولو كانت ملاصقة قريبة ثم يستثني ما لا بد من استثنائه في حقها عندما تحتاج  
الطعام ويمسها الجوع فيأتي شعره شاهداً على السلوك الكريم نحو خلقه وحفاظه على ذمام  
الجارة: (٤٥)

(٤٣) حاتم الطائي، الديوان، ص ٢٢٣.

(٤٤) حاتم الطائي، الديوان، ص ٤٧.

(٤٥) جرير بن الحظفي، الديوان، ص ٢٤٠.



قَدْ أَطْلَبُ الْحَاجَةَ الْقُصْوَى فَأُدْرِكُهَا  
إِلَّا بِغَيْرٍ مِنْ الشَّيْزَى مُكَلَّلَةٍ  
وَلَسْتُ لِلجَارَةِ الدُّنْيَا بِزَوَّارٍ  
يُجْرِي السِّدْفُ عَلَيْهَا المِرْبَعِ الوَارِي

ويجمع لبيد لجاراة ممدوحة ما تطمع فيه كل امرأة، فلها منه ألا تجوع وهي بجانبه وألا تناها مذمة وألا يساء معها حديث ولا يغتابها أحد في غيبتها أو حضورها: (٤٦)

وَجَارَتُهُ إِذَا حَلَّتْ إِلَيْهِ لَهَا نَفْلٌ وَحَظٌّ فِي السَّنَامِ  
فَإِنْ تَقَعْدُ فَمُكْرَمَةٌ حَصَانٌ وَإِنْ تَطْعَنُ فَمُحْسَنَةُ الكَلَامِ  
كما ينصح ويحث على إكرام المرأة الجارة ويدعو له ويبشر به ويجعل ذلك درساً تعليمياً يلقنه من يسدي له النصيح حتى تكتمل صورة المروءة عنده فيقول: (٤٧)

وَعَفَّفَ عَنِ الجَارَاتِ وَأَمْنَحَهُنَّ مَيْسَرَكَ السَّمِينَا  
ويفخر طرفة بن العبد بنفسه وقومه فيجعل مناط فخره إكرام الجار والجاراة وحمائتها فيقول: (٤٨)

لَنَا هَضْبَةٌ لَا يَدْخُلُ الدُّلُّ وَسَطَهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا المُسْتَجِيرُ فَيُعْصِمَا  
تَرَى جَارَنَا فِينَا بِخَيْرٍ وَعَرْسُهُ، وَجَارَتُنَا بَسْلاً عَلَى النَّاسِ مَحْرَمَا  
ويتحدى الأعشى أعداءه بأسلوب استنكاري تهكمي فيقول: (٤٩)

أَجَارَتُكُمْ بَسْلاً عَلَيْنَا مُحْرَمٌ وَجَارَتُنَا حِلٌّ لَكُمْ وَحَلِيلُهَا  
كما يأتي المادحون لتوظيف معنى احترام الجارة وإشباعها في مدائحهم للأجواد وأهل الفضل يتوسلون إليهم بتحريك نسيم ريح المروءة والكرم حتى ينفخ الممدوحون الشاعر بما يتطلع إليه من إكرام فيقول مسعود بن خرشة التميمي في مدح والي اليمامة من بني عقيل: (٥٠)

(٤٦) لبيد بن ربيعة العامري، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق إحسان عباس (الكويت: دار

التراث، ١٩٦٢م)، ص ٢٠٤.

(٤٧) العامري، ديوانه، ص ٣٢٤.

(٤٨) طرفة بن العبد، ديوان طرفة، تحقيق درية الخطيب (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٣٩٥هـ/

١٩٧٥م)، ص ١٩٤.

(٤٩) الأعشى، الديوان، ص ٢٢٥.

(٥٠) الأصفهاني، كتاب الأغاني، مج ٢١، ص ٢٧٤.

حُصُونُ بَنِي عَقِيلٍ كُلُّ عَضْبٍ إِذَا فَرَعُوا وَسَابِغَةُ الدَّلَاصِ  
وَمَا الْجَارَاتُ عِنْدَ الْمَحَلِّ فِيهِمْ وَلَوْ كَثُرَ الدَّوَارِجُ بِالْخِصَامِ

فقد جعل الشاعر جارات بني عقيل لا يحتجن إلى حماية وإنما إلى الشبع والإطعام وقد تجاوز الشاعر المدح بحمايتهم إلى المدح بإطعامهم ورعايتهم في أيام المسغبة والجوع ولاشك أن الحماية من مسلمات القضية، وحقوق الجار، فهو لا يحتاج إلى ذكرها وتأكيدا ولكنه يذكر الجانب الآخر والواجب التطوعي وهو الإطعام في وقت الشدة والفقر واشتداد الفاقة والعوز الذي تعانيه المرأة المضاعة في الظرف القاسي للحياة.

ولا يقف مدح الجار عند ملء البطن من الطعام بل يصل إلى محاولة الإنعام بفضل ما عنده وترفيه الجارة بما لا يتوافر في أزمات القوت ففي مواسم الحفاف ونضوب المصدر الأساسي للطعام يكون القوت من اللحم هو آخر موجود عند عرب الجزيرة. فالإبل هي المال ولحمها هو الطعام الذي يلجأ إليه المعسرون في الأزمات وشح القوت، فلا يصبرون عليه كثيراً إلا أن يقطعوه بنوع آخر من القوت الذي لا يتوافر إلا عند القليلين منهم، وقد فطن الشعراء إلى الحال التي تكون عليها الجارة عندما لا تجد طعاماً غير اللحم وقد يكون لحم جزور هزيل فتحتاج الجارة إلى البر بها والتلطف الذي لا يغفل عنه الجار الكريم وقد مدح الحطيئة قوماً يبرون بجاراتهم فقال: (٥١)

وَمَا تَتَّامُ جَارَةٌ آلِ لَأَيِّ وَلَكِنْ يَضْمَنُونَ لَهَا قَرَاهَا  
كِرَامٌ يَفْضُلُونَ قُرُومَ سَعْدٍ أَوْلِيَّ أَحْسَابَهَا وَأَوْلِيَّ نَهَاهَا

التتام هو الاستمرار على أكل اللحم قوتاً لا يجد الأكل غيره طعاماً، فتشدد حاجته لما يقطع به اللحم من أصناف الطعام الأخرى. والحطيئة يصف ضرباً من التلطف في حقوق الجارة والحرص على ألا تمسها مسغبة ولا حرمان في جوار الكريم الذي يربها ويبحث عن خصائصها وفقرها في وقت لا يتوافر فيه خير كثير. أما هذبة بن الخشم العذري فيجعل جارة العربي الكريم تملك ماله كله وهو لها متى قل الضرع وهزلت الإبل فلا لبن ولا طعام،

(٥١) الحطيئة، الديوان، ص ٩٧.

وهبت ريح الشتاء باردة تجيع البطون الخاوية وتضاعف معاناة الفقير ولاسيما الجارة التي لا تجرؤ على التصريح بحاجتها فيكون الجار هنا واقفاً يصد العوز عنها كما يصد الأعداء، وكما يدفع الأبطال عن الحوزة فيقول: (٥٢)

لِجَارَتِهِ الدُّنْيَا، وَلِلْجَانِبِ العَدَى  
وَبَادِرَهَا قَصْرَ العَشِيَّةِ قَرَمَهَا  
يَبِيْتُ عَنِ الجِيرَانِ مَعْرَبَ جَهْلِهِ  
إِذَا الشَّوْلُ رَاحَتْ وَهِيَ حُدْبٌ شَوَاسِفُ  
ذُرَى البَيْتِ يَحْشَاهُ مِنَ القَسْرِ آزِفُ  
مُرِيحَ حَوَاشِيِ الحُلْمِ لِلخَيْرِ وَاصِفُ

### الجارة الجائعة

ولابد من إجراء المقابلة، مقابلة خلق الكريم المعطاء البار بجارته بخلق الشحيح الذي يغلب عليه إثرة نفسه على ما سواها، فيشبع ويغظ بنوم السعادة بينما جاراته يعصب في أحشائهن ألم الجوع، فلا يهتم ولا يشعر بالحاجة ولا يساعد في إطعام ولا إكرام فهو منصرف إلى نفسه عامل لهواه لا تأخذه المروءة في الدرب الشاق الذي يسلكه غيره من كرام الناس. هذا الخلق الذي يوجد في بعض السلوك الإنساني يضعه الشعر بزواية مغلقة ثم يكشف عن دمامته وقبحه للناس حتى يظهر الواقع الذي يحاول البخيل إخفائه، والظهور أمام الملاء بأخلاق الكرام، لكن يأبى الشاعر المداهنة مع هذا الصنف من الناس ويرفض الصلح مع أخلاقهم، ويجعل من لسانه وشعره محكاً يكشف ما تخفيه الطباع في هؤلاء القوم الذين نسوا واجبات الجوار وحقوق الرعاية. إذا كلحت السنون وعصبت الحياة بقسوتها، وقل العطاء والخير عند الكثيرين من الناس، ولم يبق غير تميز الجبلة والطبع الذي لا يتغير ولا يصدأ مع عوامل التعرية في حياة المجتمع الفقير البائس، وكل مجتمع الجزيرة في ذلك الوقت فقير بائس. ولهذا فإن التقريع بالبخل يقع حاداً على الرؤوس المطأطئة تحت شح النفس والخوف من تقلب الأحوال وانصراف الدهر يقول الأعشى في قوم هذه حالهم: (٥٣)

تَبِيْتُونَ فِي المَشْتَى مِلاءً بَطُونُكُمْ  
وَجَارَاتُكُمْ غَرَثِي يَبْتَنَ حَمَائِصَا  
حالان مختلفان في رأي الشاعر، حال الجار الذي ينعم بامتلاء البطن واندحاق السرة يشبع

(٥٢) هدبة بن الحشرم، شعر هدبة بن الحشرم، تحقيق يحيى الجبوري (بغداد: وزارة الثقافة والإرشاد

القومي، ١٩٧٦م)، ص ١٢٣.

(٥٣) الأصفهاني، كتاب الأغاني، مج ٩، ص ١١٧.

ثم ينام قرير العين وإلى جنبه وفي كسر بيته امرأة غريبة جائعة يمحض الجوع أمعاءها، فلا تجد عوناً ولا يسمع لها نداء، فيلقي عار البخل على هؤلاء البخلاء الذين لم ينهضوا بواجبات الجوار ولم يرعوا حقوقه المشروعة، وقد صبَّ عليهم خزبي الزمن وعار الأبد عندما لم ينهضوا بجاراتهم وحقوقها وأقل الحقوق في رأي الشاعر أن تتم المساواة أو تنال الجارة كفاف العيش مع جيران تعيش بجوارهم وهم يتمتعون بالشبع والري فلا يصل خيرهم إليها، وينتقل الشعر باحثاً عن صورة أخرى من صور الشح التي يهاجمها النبيل ويرفضها معناها الكريم ويعاقب عليها الشعر فيجد ملمحاً آخر يقوله فيه: (٥٤)

هَلْ غَيْرُ عَدْوِكُمْ عَلَى جَارَاتِكُمْ      لِبَطُونِكُمْ مَلَكَ الظَّلَامِ دَوَاعِي  
فَإِذَا هُمْ طَعِمُوا فَأَلَامُ طَاعِمٍ      وَإِذَا هُمْ جَاعُوا فَشَرُّ جِيَاعٍ

فقد جعل السبب الذي وجهه إلى هؤلاء القوم عاراً إذ إنهم لا يجدون غير الجارة يعتدون عليها تحت سديف الليل فلا تحترم حرمتها ولا يرتفع سوء النية عنها ولا يبعد مدار القصد منها. وقد يصل بهم الأمر إلى حد النزق في رأيه فإن جاعوا فشر الجياع وإن شبعوا فشر شبع في بطونهم يدفعهم إلى كل رذيلة ويبعد بهم عن كل فضيلة ويأخذ بهم إلى ما لا يحمد من القول والعمل.

ولا شك أن المعنى الذي دار حوله الشعر هنا نموذج قليل ومثال للتدليل على ما يريد العربي أن تكون عليه أخلاقه. وهو شاهد على قيمة مكارم الأخلاق التي يؤمن بها أشد الإيمان ولا يتنازل عن شيء منها فيما يواجهه من تغيرات الحياة وصروف الدهر، لذلك كان في شعره مهاجماً عنيفاً لكل ضعف يطرأ على سلوك المرء نحو اهتزاز العقيدة الراسخة بحق الجارة وحرمتها ووجوب الوفاء لها والبر بها كل البر حتى لو جاع هو ومن حوله فإن ذلك لا يكون عذراً مقبولاً يخفف عنه واجب الاهتمام والرعاية بها.

(٥٤) أبو زيد الأنصاري، كتاب النوادر، ص ٤٣٤.

## The Female Neighbor in the Ancient Poetry

**Marzouk S. Tembak**

*Associate Professor, Department of Arabic, College of Arts,  
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia*

**Abstract.** This paper deals with Arabic poetry which concentrates on the right of female neighbors and describes how Arab poets were so proud of themselves when they managed to protect their female neighbor. Poets revealed in their poems the value of this custom and its social role among the Arabs.

This study draws attention to the development of this tradition and its causes; therefore, related verses have been analysed.